يحتويه من مديح ذاتيّ ومن نبذٍ للّذّات... اللذيذة! صحيحٌ أنّ الكثير ممّا جاء في سيرته عن جبران، وفي **سبعون** أيضًا، يدلُّ على قدرة نعيْمة (وفشلِ الآخرين) في التغلّب على الشهوات، ولكنْ ماذا يضير لو تغلّبتْ (أوَنتحدّثُ هنا عن مصارعةٍ حرّة؟!) الشهواتُ على الإنسان؟ وماذا لو رضخ لها؟

وفي السياسة تقرأ **سبعون** فتتذمّر لأنّ القضيّة الفلسطينيّة لم تهزّ نعيْمة كما هزّت معظمَ الكتّاب، إنْ لم يكن كلّهم، في تلك الحقبة. فقد كان منصرفًا إلى أمورٍ مجرّدة. لكنّ الأمور المجرّدة في السياسة أو الكهنوت ليست بعدًا عن السياسة بل غرقٌ فيها من وراء حجابٍ مراوغ. ذلك أنّ الكلام عن المحبّة من دون التصدّي للقتل والعنف والاحتلال والصهيونيّة إنما هو موقفٌ سياسيٌّ في الصميم. ومثلُ هذا الكلام يصْدر أحيانًا عن بطريرك الموارنة عند حديثه عن معاناة الشعب الفلسطينيّ: فهو يتحدّث عنها وكأنها مشكلةٌ لا هويّةَ لفاعلها، ويتجنّب مؤخّرًا الإشارةَ إلى إسرائيل أو الاسرائيليّين (لكنّ حواتمة في زيارته الأخيرة إلى لبنان أهداه، كما أهدى نبيه برّي وآخرين، درعَ فلسطين!).

ثم إنّ تمجيدَ حياة القرية والفلاّحين (الذين شبّههم ماركس، في كتابه **الثامن عشر من برومير**، بكيسٍ من البطاطا) من دون النظر النقديّ إلى طبيعة العلاقات الاجتماعيّة والتراتبيّة القاسية، على أساس الجنس والطبقةِ والجاهِ والسلطةِ والنفوذ، إنما هو تكريسٌ لنمطٍ محافظٍ ورجعيّ من العيش. وإذا قارنّا بين نظرة جبران الى حياة القرية (في **الأرواح المتمرّدة** مثلاً) ونظرةِ نعيْمة، تبيّن لنا أنّ جبران كان أكثرَ نقديّةً وقسوة.

❖❖

يلاحظ القارئُ أنّ نعيْمة كان يحلم (ككثيرين غيره من نتاج ثقافة البلد المريض لبنان) بـ «العالميّة.» وقد حاول أن يترجمَ بعضَ كتبه إلى الإنكليزيّة (مثل **لقاء وكتاب مرداد**)، لعلّ وعسى، لكنه لم يُوفّقْ أبدًا. أسلوبُه في الإنكليزيّة جاء قاسيًا كمن يترجم قاموسيّاً من دون سبر غور اللغة الهدف، خلافًا لجبران: فهذا الأخير، على الرغم من انتقاداتٍ أصابتْه لناحية عدم تمكّنه الفقهيّ من الإنكليزيّة، كان يغطّي بشاعريّته المُميّزة على هنّات اللغة. غير أنّ جبران شاعر، لا كاتبٌ أو مفكّرٌ أو ناثر. وأما نعيْمة فكان كاتبًا وناقدًا، وشعرُه لم يرتقِ إلى مرتبة نثره الرفيع، وإنْ كان بعضُه جميلاً (مثل قصيدة «أخي»).

❖❖

يحتاج **سبعون** الى إعادة تقدير. نتساءل إنْ كان الجيلُ الجديدُ القابعُ أمام شاشة الكومبيوتر يستطيع أن يعطي هذا الكتابَ القيّمَ حقّه. **سبعون** في مجلّداته الثلاثة يعود إلى حقبة القراءة المنتظمة، عندما كانت أناةُ القراءة تتعدّى الصفحةَ أو الصفحتيْن. لكنّ الذي فاته التمتّعُ بهذا الكتاب فاته عَلَمٌ من الأدب العربيّ يتخطّى في قيمته ومعلوماته حدودَ قرنٍ واحد.

كاليفورنيا

المسافة قصيرة جداً بين قصّة بسمة الخطيب والقصيدة. فحسّها المرهف، وكتابتها التي تبدو كما لو كانت مقطوعات إيقاعيّةً بطريقتها الفريدة، يُدخلانني إلى عالم الشعر، ويضعانني في حالةٍ من الاكتفاء الذاتيّ في عمليّة التلقّي.

جابر عصفور

لبسمة الخطيب مقدرةٌ فنيّةٌ على حَبْكِ نصٍّ قصيرٍ لعالمٍ واسع، من دون أن يكون ذلك على حساب ثراء عالم القصة وتماسكه.

يمنى العيد